٣/٣ ٨:١٨ م] بهاء الغول: عشرون جنيهاً يا رجل، وأنت لم تشتر بعد كبش الأضحية وأقسم لولا أني فإن هذه النخلة لا تساوي عشرة جنيهات". وتململ حمار حسين التاجر في وقفته، ـ عنه، فهو لم يرد أن يُظهر لـ (شيخ محجوب) تلهفه على شراء النخلة ذات البنات الخمس التي يسميها السودانيون في الشمال (الأساسق)، وقد قامت وسطها النخلة الأم ممشوقةً مُتغطرسة، النسمات الباردة التي هبت من الشمال، تحمل قطراتٍ من مياه النيل ـ والحمار الأبيض اليدين يقف على حافة حافره ، التي نمت على حافة الجدول، بثيابه البيضاء الفضفاضة، وعمامته من الكرب، وحذائه الأحمر . الذي لم تخرج أيدي صُنّاع المراكيب في الفاشر أجود منه، وحماره الأبيض اليدين اللامع، والسرج الأحمر المدهن، والفروة البنية التي تدلت وكادت تمس الأرض، كان صورة مجسمة للكبرياء والغطرسة. ولكن شيخ محجوب لم يُحِر جواباً، وكان يبدو في وقفته كالمشدوه يرنو إلى أفق بعيدٍ مُتناءٍ، ورويداً رويداً خفتت في أذنيه ضوضاء أهل الخير الذين تجمعوا ليتوسطوا بين التاجر وشيخ محجوب، وخفت صوت الساقية الحزينُ المتصل، ولف ضباب الذكريات معالم الأشياء الممتدة أمام ناظري شيخ محجوب الناس والبهائم وغابة التخيل الكثة المتلاصقة . أجل، حين يخرج الناس مع شروق الشمس في ثيابهم النظيفة الجديدة، ثم يُصلّون مجتمعين، أما هو . . أما بينه . أما ابنته خديجة؛ فقد كانت . ثوب زراق: ثوب يتحمل الأوساخ، تحت قلبه بكائها من أجل ثوب جديد تعرضه على لداتها، وتعيد به مع صاحباتها، وعاد بعقله خمسة وعشرين عاماً إلى الوراء، عندما كان شاباً أعزب، فلم يكن يحتاج إلى المال، ولم يكن يعرف له قيمة. إذ وقع نظره على شتلة صغيرة رماها إسماعيل بعيداً، على أنها لا تصلح، ونفض عنها التراب، بعد أن تلا آيات من القرآن الكريم، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله"، مثلما يفعل أبوه كلما غرس شتلة، أو حصد نبتاً، في الحفرة قليلاً من ماء الإبريق الذي يتوضأ به أبوه تيمناً وتبركاً. ثم مرر أصابع يده التحيلة بين شعيرات لحيته المتفرقة. ألا ما كان أبرك ذلك العام بعد ستة أشهر فقط من غرسه النخلة، فهو الذي عاش أيام صباه منبوذاً، محتقراً من أهله، مجلوا من الحسان، بالغباء والخيبة. غير أنه تزوج، وليس حريرة العرس، وأحاطت به الصبايا يهرجن بالأغاني، وفي العام التالي، ولدت زوجته بنتاً أسماها (آمنة) تيمناً بمقدمها، وحينما وصل به تيار الذكريات إلى مولدها، وقد كانت تبره، حاول الرجل أن ينساه، ويمحوه من ذاكرته، ويعده من الأموات، لكن زوجته كانت تبكي كلما جاشت بنفسها الذكرى، ثم شاباً يافعاً يشب عن الطوق، وينسى حقوق الأبوة. وكأن القدر أراد أن يُنسيهم كل شيء يربطهم بحسن، فرمى آخر ما السهم الأخير التعـ في جعبته من سهام قاسية مسمومة، ظلّ يُسدّدها منذ عامين، فقد ماتت، والاها بالعلف والحبوب حتى استوت بقرة جميلة كحيلة العينين، دعاءه يوم شق في الأرض على حافة الجدول، كل هذا عفا على آثاره الزمن، لقد مات الزرع، ويس الضرع، قطفا على الشباب، وما عاد النيل يفيض إلا بحساب ومقدار، وما كان محجوب حريصاً على ما عنده من خير، وهكذا ظل يكابد الفاقة وحده، وليس عنده من مال الدنيا إلا بقرة واحدة وعترتان وهذه النخلة التي ظل جاهداً يحاول استبقاءها . وقطع عليه ذكرياته صوت التاجر وهو يقول له : "أيها الرّجلُ، لِمَ هذا السكوت؟ أجبنا بكلمة واحدة، في البيع". وحضر رمضان من طَرَفِ الساقية، خاصة وهو أحوج ما يكون إلى المال. وفجأة، هبت ريح قوية أخذت تتلاعب بجريدة النخلة، وبدت وهفا قلبه لابنه في مصر . وترقرق في عينه دمع حبسه داً، وتمتم: "يفتح الله، فلن أبيع تمرتي"، وتقفل الباب في يريد الشراء، إنها مفتاح لمن أعسره الضّيق، وانحدر طَرْفُه . وفي الطريق إلى بيته، تحسس الرجل رزمة المال التي صرّها جيداً في طرف ثوبه، يفتح الله". ممشوقة، تتلاعب بجريدتها نسمات الشمال، وخيل إليه أن سعف النخلة يرتجد ثم همر بطن الحمار بكعب رجله، وقال في. كوقع الصوت: "يفتح الله، ستبحث غداً عمن يداينك المال". أنصر محجوب الله الصغيرة والأشغ: من يقلب في نقرة تقرون القوه مضطربة فرحة، البنات. رسالة من حسن؟ وانطلق الرجل كالمجنون لا يفكر ولا يعي بنبض قلبه معربداً بين.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي